

صفحات في الأدب الألماني

كلويس KLOSPTOCK توك

بقلم الدكتور علي مظهر

ولد فريدرش جوتليب كلويشتوك في أوّد لنبُورج في الثاني من شهر يولية سنة ١٧٢٤ ، وتردد على مدرسة الأمراء ببفورتا من سنة ١٧٣٩ حتى ١٧٤٥ ، وهناك وعى ما يؤلفات التقدماء من أدب وحكمة ، وأراد أن يدرس اللاهوت بجامعة بينا ، ثم انتقل إلى ليبرج ، وهناك انضم إلى اتحاد شعراء سكسونيا ، وفي سنة ١٧٤٨ رحل إلى (لاينغفالزا) ليكون معلماً في إحدى الأسر ، وبعد ذلك بعامين أرسل إليه « بودسر » يدعوه إلى زيورخ ، حيث أرسل فريدرش الخامس ملك الدانمارك (المتوفى سنة ١٧٦٦) في طلبه للذهاب إلى كوبنهاجن ، وهناك كتب قصيدة « المسيح » ، وقد لبث بتلك العاصمة الجلية من سنة ١٧٥٤ حتى سنة ١٧٧٠ . ولبعض الظروف السياسية أرسل إلى هامبورج وعين مستشاراً للموضية الدانماركية هناك ، ولبث بها حتى مات يوم ١٤ مايو سنة ١٨٠٣ ، ودفن في فناء كنيسة إحدى القرى القريبة منها .

أما عن آثاره فنذكر منها أخطرها شأناً في عالم الأدب ، ونعني به قصيدة « المسيح » ، وهي من نوع قصص الأبطال الدينية ، كتبها في عشرين أنشودة ، كانت الثلاث الأولى منها سبب ذبوع ذكره ، وقد نشرت في سنة ١٧٤٩ ، ثم نشرت القصيدة بأكملها سنة ١٧٧٣ ؛ ولما كان في مدرسة بفورتا ، رأى أن يشيد بذكر وطنه ، بقرض قصيدة من قصائد الملاحم البطولية الكبرى ، فاسترعى نظره ما آتاه الملك هانريش الأول من أعمال جلية في رأيه ، ثم إنه عدل عن ذلك ؛ ورأى أن تكون القصيدة دينية ، وأن ينظم الشعر في ذكر « المسيح » وما آتاه بلير الانسانية وإقتادها ؛ ويظهر أنه تأثر بقراءته (اللجنة الضائعة) التي كتبها ملتون وترجمها بودسر عند ما أراد أن يكون القول القصل على من ينظم ، وعلى من يقول الشعر ؛ وقد أراد الشاعر أن يأتي عند نظمها بأحسن ما استطاعته العقول الجبارة من بني البشر ، ولذا تخير لنظمها ذكر عظيم كبير .

وترى الشاعر يصمد بك إلى السماء ، فيريك الأب والابن (حسباً يعتقد المسيحيون) والافنان يتشاوران ، وترى الابن يبدي استعدادده لأن يرسل لاقتاد البشر وخلصه ، وتسمع

الآب يقسم أنه غافر ذنوب الناس إذا ما فعل ، فإذا ما انتهت من قراءة الأنشودة الأولى ، هبط بك من العلى إلى جهنم السعير ؛ نيسمك الشيطان ، و (ادراماليش) وهما أميراً - سقر - يتآمران على « المسيح » ، على حين يريك « أبادونا » يخالهما الرأى ، ويمترض عليهما ؛ ثم ترى الشاعر يأخذ بيدك إلى الأرض ، وإذا بك ترى « المسيح » على جبل الزيتون ، وتعرف إلى يهوذا الخائن ، فإذا ما أملاك على هذا فى الأنشودة الثالثة انتقل بك إلى الرابطة ، فيسمعك مداولة الأبحار والشيوخ فى سيندروتوم ، حيث قرروا موت « المسيح » ، وريك المائدة منصوبة ؛ ولا يزال ينتقل بك فى أناشيده ويصف باقى قصة « المسيح » حتى قصة معراجة ، وقد ختم بها أنشودتية الأخيرتين .

والحق أن مشروعه كان مشروعا عظيماً وكذلك كان رأيه كبيراً ، ولكنه لم يمكنه أن يتلاقى الخلط فى قصيدته ، كما أنك تراه يحشر حديثاً طويلاً حشراً ، أو يفرق فى الأوصاف ، ويجعل محادثاته وأغانيه متنادية فى الطول ، وقد أكتب النصف صبغة غنائية ، مع أنه أراد أن يجعلها ملحة ، أى قصة أبطال مصبوغة بصبغة دينية ؛ وأحسن ما فيها من الأناشيد العشرة الأولى ، حيث نجد خصوبة الخيال وقوة التأثير ؛ ولن نجد فى النصف الثانى من القصة ذلك الخناس المتوقد ، كما تلحظه فى النصف الأول ، بل ترى الأناشيد الخمس الأخيرة لا قوام لها يعرف ، ولا عيئة توصف . وتظهر قدرة كلويشتوك فى النوع الثنائى من الشعر فى أناشيده ، وترادىته غير طامر المواد والموضوعات : الدين ، والحب ، والصدقة ، والوطن ، وتراه يذكر الدين فى كل واحدة منها ؛ ومن بين الأمراء والأبطال الذين شاد بذكرهم فى شعره ، تراه يذكر : هنريش الأول . ويوسف الثانى ؛ ولكنه لم يمدح نريدريش الأكبر ، لأنه لما كان يبنى بالآداب الألمانية . ولما راجع بعض أناشيده الوطنية عمد إلى ما به فيها من ذكر لاسامير إغريقية ، فاستعاض عنها بالاسامير الجرمانية ، وفق وجهة نظر العلم المعروف إذ ذاك ، وإنك لترى الفرق الحسوس بين أناشيده التى نظمها فى مستهل شبابه ، وتلك التى قرنها وهو على أبواب الكهولة ؛ فبينما تلحظ فى الأولى الخناس المتوقد والحمية المعقولة ، إذ يسود الثانية الظلام والصنعة الكلامية ، فتبدوها فائرة الهمة باردة الطبع . عليها مسحة التكلف . وقد ترك كلويشتوك ست مآس ، تخير لها مادتها ، إما من الانجيل ، أو من التاريخ الألمانى القديم ، أما الثلاث مآسى الأولى فهي : موت آدم ، سالومو ، داود ؛ والثلاث الأخر الوطنية هي : موقعة هرمان أحدادها لبوسف الثانى سنة ١٧٦٧ ، ثم هرمان والأمراء ، والثالثة موت هرمان ، وفيها قد رغب فى حب الوطن فى النفوس ، ولو أنه أتى فيها بما لا يعرفه التاريخ ، فأنت تسمع جملة